دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: آية النور في سورة النور، معان وأسرار
المصدر: مجلة كلية التربية
الناشر: جامعة طنطا - كلية التربية
المؤلف الرئيسي: الشعيلي، سليمان بن علي بن عامر
مؤلفين آخرين: صالح، أحمد فريد(م. مشارك)
المجلد/العدد: ع54
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2014
الشهر: أبريل
الصفحات: 456 - 503
رقم MD: 740216
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: EduSearch
مواضيع: تفسير القرآن، سورة النور
رابط: http://search.mandumah.com/Record/740216

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

آية النور في سورة النور، معان وأسرار

إعداد

د/ سليمان بن علي بن عامر الشعيلي
أستاذ مشارك، جامعة
السلطان قابوس

أ.د/ احمد فريد صالح
أستاذ التفسير وعلوم
الجامعة الأردنية

العدد الثاني (٥٤) أبريل ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير البشر وإمام الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله ومن دعا بدعوته ، واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالقارئ المتأني المتدبر لمعاني " سورة النور " يدرك نورا ساطعا يبدد الظلمات ، ويكشف الشبهات ،ويرد على أعداء القرآن الكريم كيدهم وحقدهم ،ويقطع على أهل النفاق مخططاتهم ،ويبصر المؤمنين بالله تعالى بأحكامه ، لتطهيرهم وتطهر مجتمعهم من المزالق الخطيرة التي تودي بهم .

والحقيقة أننا في كتابتنا لهذا البحث لا ندعي تفصيل كل ما جاء في هذه السورة ، فان دراستها بتفصيل أمر جليل ، وعبء جسيم ، لا يتسع له كتاب ، فكيف توفيه حقه صفحات ؟ وقد كفانا ما قام به علماؤنا الأجلاء من دراسة هذه السورة الكريمة ، وبيان ما تضمنته من موضوعات، وما ترمي إليه من أهداف . وإنما الذي نقصده الوقوف على آية فائقة الحسن، بارعة الجمال ، فيها من الأسرار البيانية ، والمعاني البليغة ،الآثار العظيمة ، يجدها السامع في حسه ، تفوق إبداع البشر وتعجزهم ، فلا يحاذيها ولا يدانيها شيء مما تفيض به قرائحهم ، أو تتمخض عنه عبقريتهم، رتبت كلماتها بحيث تكون كل لفظة في محلها اللائق بها الذي لا يقبل سواها ، فكل ما تضمنته تجدها درة عقد، وحلاوة شهد ، كما أنها تكتسب أهمية خاصة من حيث إنها تناولت الحديث عن المثل ، والبحث عن الأمثال فن من الفنون البلاغية التي عنى بها القرآن الكريم عناية فائقة ، فقد اتخذها وسائل وأدوات للتصوير الدقيق ليبعث في الخيال الإنساني صورا واقعية حية لا تخاطب الحواس فحسب ، وإنما تتجه إلى العقول والقلوب فتترك فيها تأثيرات قوية ، تحشد نوازع الخير في الأفكار والضمائر ، لتتبنى المضمون القرآني عقيدة ، وعبادة وعلما وعملا ، هي : آيـة النور، قال الله تعالى :(**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ**

مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ عليم) (**سورة النور:٣٥**) توسطت الآية سورة " النور" فسميت بها فهي كالثريا تضيء ما حولها .

ولقد أحببنا أن ننتظم في سلك خدام القرآن الكريم، ونقدم بحثا متواضعا في هذه الآية أسميناها:(**آية النور في سورة النور، معان، وأسرار**) ، .شارحين لها ، مستفيدين من الثلة المباركة من العلماء الأخيار الذين تناولوها بالإيضاح . ولا ندعي أن هذا الشرح نسيج وحده ،أو فريد دهره ، فالفضل أولا للسابقين الأخيار المتقدمين ، فمنهم أفدنا ، وعلى ضوء آرائهم واجتهاداتهم مشينا ، بيد أننا جمعنا فيه ما تفرق عندهم ، وفيه إضافات ما وجدناها في كتبهم.

وأما دراستنا لهذه الآية فستكون في : مقدمة ومبحثين وخاتمة .

المبحث الأول: دراسة قوله تعالى :(**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) .

ويتضمن مطلبين :

المطلب الأول: المناسبة بين قوله تعالى: (**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**)،والآيات التي قبلها.

المطلب الثاني: تعريف كلمة النور واستعمالاتها في القرآن الكريم ، وماذا يراد بها .

المبحث الثاني : دراسة المثل الوارد في قوله تعالى : (**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ .....**) **الآية (٣٥) من سورة النور** .

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى المثل، وبيان أغراضه، وأهميته في كتاب الله تعالى.

المطلب الثاني: توضيح المثل من حيث بيان نوعه، وصورة الممثل به، والممثل له، ووجه الشبه

المطلب الثالث: دلائل المثل في سورة النور، وما يهدف إليه.

أما **الخاتمة** فقد ضمناها أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

نسأل تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يتقبله قبولا حسنا ، وأن يقينا عثرة اللسان والقلم ، ويلطف بنا فيما حل ونزل ، ونعوذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، وعمل لا يرفع ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

وبالله تعالى التوفيق

الدراسات السابقة:

سورة النور حافلة بالآداب الاجتماعية، والأخلاق الإسلامية والأحكام الشرعية، وقد كتبت دراسات مستفيضة تعنى بهذه الجوانب وتعالج قضاياها، غير أن الدراسات في آية النور خاصة قليلة جدا، وجاءت في معرض الدراسات البيانية عن سورة النور بصفة عامة، ومن هذه الدراسات:

١. الدراسة التي أجراها بدر بن طاهر العنزي، عن التناسب البلاغي في سورة النور، قدمها لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، عام ١٤٣٥هـ، عنيت الدراسة بإبراز التناسب ولطائف الترتيب، وإبراز صور التناسب البلاغية ومدى انسجامها في بنية السورة، ولم تعن بدراسة التقعيد البلاغي للأساليب البلاغية في سورة النور، ومع عموم هذه الدراسة فإن موضوعها يختلف عن الدراسة قيد البحث.

٢. الدراسة الثانية، للباحثة: نسوة حسنة، بعنوان، طبقات التشبيه في سورة الرحمن وسورة النور، دراسة تحليلية بلاغية، وهي بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والثقافة، الجامعة الإسلامية بمالانج. تعرضت الباحثة في دراستها إلى آية النور من غير تعمق ولم تزد على توضيح بسيط بعض التشبيهات كتفسير للآية.

٣. دراسة أجرتها الباحثة وفاء اسكندر، ونشرت عام ٢٠٠٩ في مجلة كلية التربية ، جامعة الموصل، وكانت بعنوان "سورة النور ، رؤية بيانية". قامت هذه الدراسة على توضيح بنية التشبيه، وبيان أثر الصورة البيانية في سورة النور، مؤكدة الترابط بين الجانب الفني والموضوعي، ورغم أنها من اقرب

الدراسات إلى موضوع البحث، لكنها جاءت عامة ، وجاء الحديث عن آية النور في هذه الدراسة في ثنايا صور التشبيه التي عرضتها الباحثة.

منهجية البحث:

سيقوم الباحثان باستقراء كلمة (النور) الواردة في الآيات القرآنية على اختلاف صيغها ، وخاصة فيما يتعلق منها بصفة لله، أو لكتبه أو لرسله عليهم السلام، ثم استخدام المنهج التحليلي في تفسير هذه الآيات ، وتفسير آية النور، وقد يستخدما المنهج ا لمقارن إذا لزم ذلك للدراسة.

المبحث الأول :

دراسة قوله تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) .

المطلب الأول: المناسبة بين قوله تعالى: **(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)**،والآيات التي قبلها.

امتازت هذه السورة العظيمة بمطلعها الفريد، نظرا لما تضمنته من أحكام وآداب، فكان في آيتها الأولى إشعار بهذه الأحكام المفروضة على الأمة المسلمة، "سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات مبينات"، والآية التي قبل آية النور، ورد التأكيد على هذه الآيات التي ذكرت في الآية الأولى "ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات" ، وما بين هاتين الآيتين ورد تفصيل بعض هذه الآيات ، من أحكام الزنا ، والقذف، واللعان وغيرها ، والتي فيها طهارة لهذا المجتمع المسلم، مما يجعل حياته أشبه بالذي يمشي على نور، وعليه فإن كثيرا من المفسرين يرون أن ارتباط آية النور بالآية التي قبلها "ولقد أنزلنا إليك أيات مبينات" من حيث أن هذه الآيات بم تضمنته من تشريع وأحكام هي بمثابة النور الذي يهتدي به السالك في الظلام .

قال ابن عاشور:

"والذي يظهر لي أن جملة: { الله نور السمٰوات والأرض } معترضة بين الجملة التي قبلها وبين جملة: { مثل نوره كمشكاة } وأن جملة: { مثل نوره كمشكاة } بيان

لجملة:{ ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات } [النور: ٣٤] كما سيأتي في تفسيرها فتكون جملة: { الله نور السماوات والأرض } تمهيداً لجملة: { مثَل نوره كمشكاة }.

ومناسبة موقع جملة: { مثل نوره كمشكاة } بعد جملة: { ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات } أن آيات القرآن نور قال تعالى:

{ وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً } في سورة النساء (١٧٤)، وقال: { قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين } في سورة العقود (١٥)، فكان قوله: { الله نور السماوات والأرض } كلمة جامعة لمعان جمّة تتبع معاني النور في إطلاقه في الكلام".[١]

وارتبطت عند البقاعي بما قدمنا من الأحكام المذكورة قبلها كأحكام الزنا، وقذف المحصنات، بما في ذلك براءة السيدة عائشة رضى لله عنها ، فقال:

"ولما أتم سبحانه هذه الآيات في براءة عائشة رضي الله عنها ومقدماتها و خواتيمها، قال عاطفاً على قوله أولها { وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون }: { ولقد أنزلنا } أي بما لنا من العظمة ترغيباً لكم وترهيباً { إليكم } أي لتتعظوا { آيات مبينات } مفصل فيها الحق من الباطل، موضح بالنقل والعقل بحيث صارت لشدة بيانها تبين هي لمن تدبرها طرق الصواب كما أوضحنا ذلك لمن يتدبره في براءة عائشة رضي الله تعالى عنها وما تقدمها وتتبعها مما هو صلاحكم في الدين والدنيا { ومثلاً } أي وشبهاً بأحوالكم { من الذين خلوا من قبلكم } أي من أحوالهم بما أنزل الله إليهم في التوراة في أحوال المخالطة والزنى وقذف الأبرياء كيوسف ومريم عليهما السلام وتبرئتهم كما قدمت كثيراً منه في سورة المائدة وغيرها مما صار في حسن سبكه في هذا الكتاب، وبديع حبكه عند أولي الألباب، كالأمثال السائرة، والأفلاك الدائرة { وموعظة للمتقين* } بما فيه من الأحكام والفواصل المنبئة عن العلل المذكرة بما يقرب من الله زلفى، وينور القلب، ويوجب الحب والألفة، ويذهب وجر الصدر؛ ثم علل إنزاله لذلك على هذا السنن الأقوم، والنظم المحكم، بقوله: {

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨٥/١٨

الله } أي الذي أحاطت قدرته وعلمه { نور } أي ذو نور { السماوات والأرض } لأنه مظهرهما بإيجادهما وإيجاد أهلهما وهاديهم بالتنوير بالعلم الجاعل صاحبه بهدايته إلى الصراط المستقيم كالماشي في نور الشمس، لا يضع شيئاً في غير موضعه كما أن الماشي في النور لا يضع رجلاً في غير موضعها اللائق بها، ولا شك أن النور هو ما به تظهر به الأشياء وتتكشف، فهو سبحانه مظهرهما، وهما وما فيهما دال على ظهوره، وأنه تام القدرة شامل العلم حاوٍ لصفات الكمال، منزه عن شوائب النقص".[١]

والاستاذ سيد قطب كعادته لا يترك مثل هذه الآيات دون أن يضفى عليها مسحة تربوية تؤذن بإعجاز تربوي وتشريعي في أحكام هذا الدين العظيم، فقال مقررا ارتباط هذه الآية ، آية النور، بما سبقها من أحكام وأخلاق وآداب ، يصل من التزم بها إلى النور الحقيقي ، نور الطهارة والعفاف والرضا ، والطمأنينة والسكينة ، يقول، رحمه الله:

"في الدرسين الماضيين من السورة عالج السياق أغلظ ما في الكيان البشري. ليرققه ويطهره ويرتفع به إلى آفاق النور. عالج عرامة اللحم والدم، وشهوة العين والفرج، ورغبة التجريح والتشهير، ودفعة الغضب والغيظ. وعالج الفاحشة أن تشيع في النفس وأن تشيع في الحياة، وأن تشيع في القول. عالجها بتشديد حد الزنا وحد القذف. وعالجها بعرض نموذج شنيع فظيع من رمي المحصنات الغافلات المؤمنات. وعالجها بالوسائل الواقية: بالاستئذان على البيوت وغض البصر وإخفاء الزينة، والنهي عن مثيرات الفتنة، وموقظات الشهوة. ثم بالإحصان، ومنع البغاء، وتحرير الرقيق.. كل أولئك ليأخذ الطريق على دفعات اللحم والدم، ويهيئ للنفوس وسائل العفة والاستعلاء والشفافية والإشراق.

---

[١] البقاعي، نظم الدرر، تفسير سورة النور، آية النور، موقع altafsir.com، جامعة آل البيت، الأردن

وفي أعقاب حديث الإفك عالج ما تخلف عنه من غضب وغيظ، ومن اضطراب في المقاييس، وقلق في النفوس. فإذا نفس محمد . رسول الله صلى الله عليه وسلم . مطمئنة هادئه. وإذا نفس عائشة . رضي الله عنها . قريرة راضية. وإذا نفس أبي بكر . رضي الله عنه . سمحة صافية. وإذا نفس صفوان بن المعطل . رضي الله عنه . قانعة بشهادة الله وتبرئته. وإذا نفوس المسلمين آيبة تائبة. وقد تكشف لها ما كانت تخبط فيه من التيه. فثابت إلى ربها شاكرة فضله ورحمته وهدايته..

بهذا التعليم.. وهذا التهذيب. وهذا التوجيه. عالج الكيان البشري، حتى أشرق بالنور؛ وتطلع إلى الأفق الوضيء؛ واستشرف النور الكبير في آفاق السماوات والأرض، وهو على استعداد لتلقي الفيض الشامل الغامر في عالم كله إشراق، وكله نور".[1]

ويضيف أبو السعود إلى ما قيل ، أن هذا النور ليس مقصورا على ما ذكر من أحكام وآداب سبقت الآية، بل هو شامل لكل الأحكام التي فصلها الله في كتبه، وكل الشرائع التي أنزلها الله على رسله من حيث إنها السبيل إلى هداية الناس إلى الخير ونجاتهم من النار، وهي من الوضوح والبيان كالنور الظاهر الجلي.، يقول أبو السعود:

"قولُه تعالى: { ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ } الخ حينئذٍ استئنافٌ مَسوقٌ لتقريرِ ما فيها من البيانِ مع الإشعارِ بكونه في غاية الكمالِ على الوجه الذي ستعرفُه، وأمَّا على الأوَّلِ فلتحقيقِ أنَّ بيانه تعالى ليس مقصُوراً على ما وردَ في السُّورة الكريمة بل هو شاملٌ لكلِّ ما يحقُّ بيانُه من الأحكام والشَّرائعِ ومباديها وغاياتها المترتِّبة عليها في الدُّنيا والآخرة وغير ذلك ممَّا له مدخلٌ في البيان وأنَّه واقعٌ منه تعالى على أتمِّ الوجوهِ وأكملِها حيث عبَّر عنه بالتَّنوير الذي هو أقوى مراتب البيانِ وأجلاها وعبَّر عن المنوِّر بنفس النُّور تنبيهاً على قوَّةِ التَّنوير وشدَّةِ التَّأثيرِ وإيذاناً

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢٥١٨/٤

بأنه تعالى ظاهرٌ بذاته، وكلُّ ما سواه ظاهرٌ بإظهاره، كما أنَّ النُّور نيِّرٌ بذاته وما عداه مستنير به".[١]

المطلب الثاني: تعريف كلمة النور واستعمالاتها في القرآن الكريم ، وماذا يراد بها.

النور بالضم الضوء أيا كان، أو شعاعه، والجمع أنوار، ونيران، وقد نار ونوَر وأنار واستنار، ونوَر، وتنوَر، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، والذي يبين الأشياء" [٢]

قال في اللسان: "والنور ، الضياء ، والنور ضد الظلمة ، وفي المحكم النور الضوء أيا كان، وقيل هو شعاعه ، وسطوعه، والجمع أنوار ونيران، .. ونوَر الصبح ، ظهر نوره، .. وأنار المكان ، وضع فيه النور، وقوله عز وجل ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور، قال الزجاج: معناه، من لم يهده الله للإسلام لم يهتد.... وفي أسماء الله النور، قال ابن الأثير : هو الذي يبصر بنوره ذو العماية ، ويرشد بهداه ذو الغواية، وقيل هو الظاهر الذي به كل ظهور والظاهر في نفسه ، المظهر لغيره يسمى نورا، قال أبو منصور: والنور من صفات الله عزوجل قال عز وجل " الله نور السموات والأرض" قيل في تفسيره ، هادي أهل السموات والأرض.."[٣]

وفي تفسير ابن عطية

" النور " في كلام العرب الأضواء المدركة بالبصر ويستعمل فيما صح من المعاني ولاح فيقال منه كلام له نور ومنه الكتاب المنير ومنه قول الشاعر:

نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا

والله تعالى ليس كمثله شيء فبين أنه ليس كالأضواء المدركة ولم يبق للآية معنى إلا أنه أراد { الله } ذو { نور السماوات والأرض } أي بقدرته أنارت أضواؤها واستقامت أمورها وقامت مصنوعاتها، فالكلام على التقريب للذهن، كما تقول الملك

---

[١] ابو السعود، إرشاد العقل السليم، ١٧٥/٦

[٢] الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٢١٠/٢

[٣] ابن منظور، لسان العرب، مادة (نور)، ٤٥٧١/٦-٤٥٧٢

نور الأمة أي به قوام أمورها وصلاح جملتها، والأمر في الملك مجاز وهو في صفة الله تعالى حقيقة محضة، إذ هو الذي أبدع الموجودات وخلق العقل نوراً هادياً لأن ظهور الوجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور المبصرات تبارك الله لا رب سواه، وقالت فرقة التقدير دين الله { نور السماوات والأرض } ، قال ابن عباس هادي أهل السماوات والأرض والأول أعم للمعاني وأوضح مع التأمل".[١]

وهو المعنى الذي ذكره الزمخشري، قال: "المعنى: ذو نور السمٰوات. وصاحب نور السمٰوات، ونور السمٰوات والأرض الحق، شبهه بالنور في ظهوره وبيانه، كقوله تعالى:

{ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ يُخْرِجُهُم مّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ }[البقرة: ٢٥٧]: أي من الباطل إلى الحق. وأضاف النور إلى السمٰوات والأرض لأحد معنيين: إما للدلالة على سعة إشراقه وفشوّ إضاءته حتى تضيء له السمٰوات والأرض. وإما أن يراد أهل السمٰوات والأرض وأنهم يستضيئون به".[٢]

قال القرطبي: "وتحتمل الآية معنى آخر ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثّل به، بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة، وذلك أن يريد مَثَل نور الله الذي هو هداه وإتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة، كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة، التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس؛ فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيها البشر".[٣]

وأورد الإمام الرازي، الأقوال التي ذكرها المفسرون، مرجحا القول السابق على غيره، فقال بعد أن نفى أن يكون المعنى على الحقيقة: " وذلك صريح في أن ماهية النور مجعولة لله تعالى فيستحيل أن يكون الإله نوراً، فثبت أنه لا بد من التأويل،

---

[١] ابن عطية ، المحرر الوجيز، ٣٠٣/١١-٣٠٤
[٢] الزمخشري، الكشاف، ٦٧/٣
[٣] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٢/١٢

والعلماء ذكروا فيه وجوهاً: أحدها: أن النور سبب للظهور والهداية لما شاركت النور في هذا النور في هذا المعنى صح إطلاق اسم النور على الهداية وهو كقوله تعالى: { ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ } [البقرة: ٢٥٧]. وقوله:{ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا } [الأنعام: ١٢٢] وقال:{ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا } [الشورى: ٥٢] فقوله: { ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ } أي ذو نور السموات والأرض والنور هو الهداية ولا تحصل إلا لأهل السموات، والحاصل أن المراد الله هادي أهل السموات والأرض وهو قول ابن عباس والأكثرين رضي الله عنهم وثانيها: المراد أنه مدبر السموات والأرض بحكمة بالغة وحجة نيرة فوصف نفسه بذلك كما يوصف الرئيس العالم بأنه نور البلد، فإنه إذا كان مدبرهم تدبيراً حسناً فهو لهم كالنور الذي يهتدى به إلى مسالك الطرق، قال جرير:

وأنت لنا نور وغيث وعصمة

وهذا اختيار الأصم والزجاج وثالثها: المراد ناظم السموات والأرض على الترتيب الأحسن فإنه قد يعبر بالنور على النظام، يقال ما أرى لهذا الأمر نوراً ورابعها: معناه منور السموات والأرض ثم ذكروا في هذا القول ثلاثة أوجه: أحدها: أنه منور السماء بالملائكة والأرض بالأنبياء والثاني: منورها بالشمس والقمر والكواكب والثالث: أنه زين السماء بالشمس والقمر والكواكب وزين الأرض بالأنبياء والعلماء، وهو مروي عن أبي بن كعب والحسن وأبي العالية والأقرب هو القول الأول لأن قوله في آخر الآية: { يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ } يدل على أن المراد بالنور الهداية إلى العلم والعمل"[1]

ويفهم من قول الألوسي اختياره للمعنى الاخير، فذكر الأقوال التي ساقها الإمام الرازي ومنها أن نور بمعنى منور، ونسبه للحسن وأبي العالية والضحاك قال: وعليه جماعة من المفسرين، وتؤيده قراءة بعضهم (منور) وكذا قراءة علي كرم الله

---

[1] الرازي، التفسير الكبير، ٢٣/١٩٤-١٩٥

وجهه ، والقورصي، ومسلمة بن عبدالملك، وأبي عبدالرحمن السلمي، وعبدالله بن عباس بن أبي ربيعه(نوّر) فعلا ماضيا (والارض) بالنصب...ثم ذكر صفة هذا التنوير، فقال:

"وقيل وهو الذي أختاره: تنويره سبحانه إياهما بما فيهما من الآيات التكوينية ، والتنزيلية الدالة على وجوده ووحدانيته وسائر صفاته عز وجل والهادية إلى صلاح المعاش والمعاد"[١].

ويرى العلامة ابن عاشور أن النور في الآية صالح لعدة معان يصلح لها هذا التشبيه، فقال: "... والنور هنا صالح لعدة معان تشبّه بالنور. وإطلاق اسم النور عليها مستعمل في اللغة.

فالإخبار عن الله تعالى بأنه نور إخبار بمعنى مجازي للنور لا محالة بقرينة أصل عقيدة الإسلام أن الله تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لا يتردد في ذلك أحد من أصحاب اللسان العربي ولا تخلو حقيقة معنى النور عن كونه جوهراً أو عرضاً. وأسعد إطلاقات النور في اللغة بهذا المقام أن يراد به جلاء الأمور التي شأنها أن تخفى عن مدارك الناس وتلتبس فيقل الاهتداء إليها، فإطلاقه على ذلك مجاز بعلامة التسبب في الحس والعقل وقال الغزالي في رسالته المعروفة «بمشكاة الأنوار»: النور هو الظاهر الذي به كل ظهور، أي الذي تنكشف به الأشياء وتنكشف له وتنكشف منه وهو النور الحقيقي وليس فوقه نور. وجعل اسمه تعالى النور دالاً على التنزه عن العدم وعلى إخراج الأشياء كلها عن ظلمة العدم إلى ظهور الوجود فآل إلى ما يستلزمه اسم النور من معنى الإظهار والتبيين في الخلق والإرشاد والتشريع وتبعه ابن برّجان الإشبيلي في «شرح الأسماء الحسنى» فقال: إن اسمه النور آل إلى صفات الأفعال"[٢].

---

[١] الألوسي، روح المعاني، ١٨/١٦٤-١٦٥

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨/١٨٥

وعليه فإن ابن عاشور يرى أنه لا بد من النظر إلى سياق الآية حتى يكون المعنى ملائما لما قبلها وما بعدها، فقال: "أما وصف النور هنا فيتعين أن يكون ملائماً لما قبل الآية من قوله: { لقد أنزلنا إليكم آيات مبينات } [النور: ٣٤] وما بعدها من قوله: { مثل نوره كمشكاة } إلى قوله: { يهدي الله لنوره من يشاء } وقوله عقب ذلك:{ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور } [النور: ٤٠]. وقد أشرنا آنفاً إلى أن للنور إطلاقات كثيرة وإضافات أخرى صالحة لأن تكون مراداً من وصفه تعالى بالنور. وقد ورد في مواضع من القرآن والحديث فيحمل الاطلاق في كل مقام على ما يليق بسياق الكلام ولا يطرد ذلك على منوال واحد حيثما وقع، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم " ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن " فإن عطف «من فيهن» يؤذن بأن المراد بـ«السماوات والأرض» ذاتهما لا الموجودات التي فيهما فيتعين أن يراد بالنور هنالك إفاضة الوجود المعبر عنه بالفتق في قوله تعالى:

{ كانتا رتقاً ففتقناهما } الأنبياء: ٣٠. والمعنى: أنه بقدرته تعالى استقامت أمورهما. وانتهى ابن عاشور إلى القول أن : "أحسن ما يفسر به قوله تعالى: { الله نور السماوات والأرض } أن الله موجد كل ما يعبر عنه بالنور وخاصة أسباب المعرفة الحق والحجة القائمة والمرشد إلى الأعمال الصالحة التي بها حسن العاقبة في العالَمَيْن العلوي والسفلي، وهو من استعمال المشترك في معانيه". [١]

والخلاصة أن هذه المعاني كلها متقاربه، فالله تعالى منور السموات والأرض بالآيات ا لتنزيلية والتكوينية كما قال الألوسي، وهو موجد اسباب هذا النور من المعرفة الحق، والحجة القائمة، وهو ذو النور، لأنه صاحب الحق المطلق، وهو بهذا النور هادي أهل السموات والأرض، والله اعلم.

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨/١٨٥-١٨٧

ثانياً: معنى النور في القرآن الكريم

ورد لفظ النور منكرا في عدد من آيات القرآن الكريم

في المائدة١٥ "قد [١]جاءكم من الله نور وكتاب"

فالنور في الآية هو الكتاب نفسه، كما فسره الزمخشري ، لأنه يكشف الشرك والشك، ويبين ما كان خافيا على الناس من الحق.[٢]

ويرى غيره أن المراد بالنور هنا هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، قال ابن عطية

قوله عز وجل: { نور وكتاب مبين } يحتمل أن يريد محمداً صلى الله عليه وسلم والقرآن، وهذا هو ظاهر الألفاظ، ويحتمل أن يريد موسى عليه السلام والتوراة".[٣]

وأضاف الإمام الرازي معنى ثالثا للنور في الآية وهو الإسلام، وضعف القول بأنه القرآن، "لأن العطف يوجب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه وتسمية محمد والإسلام والقرآن بالنور ظاهرة..."[٤] اه

والذي رجحه الإمام الرازي فيه نظر، إذ التغاير لا يلزم منه تغاير الذوات، فقد يكون تغايرا في الصفات وهذا الظاهر من سياق الآية، فالقرآن الكريم هو الكتاب، وهو نور لما اشتمل عليه من حجج وبراهين، ودلائل وآيات، وحكم وأحكام، وهدى. ويتقوى هذا القول أن الله تعالى وصف القرآن الكريم في أكثر من آية، بأنه نور، ففي:

النساء: ١٧٤، قوله تعالى" يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً"

١

[٢] الزمخشري، الكشاف، ٦٠١/١

[٣] ابن عطية ، المحرر الوجيز، ٦٣/٥

[٤] الرازي، التفسير الكبير، ١٥٠/١١

ولا يتلبس في هذه الآية أن المقصود به القرآن الكريم، قال القرطبي: والنور المنزل هو القرآن؛ عن الحسن؛ وسماه نوراً لأن به تتبين الأحكام ويهتدىٰ به من الضلالة، فهو نور مبين، أي واضح بَيِّن.[١]

وفي سورة الشورى : ٥٢ " وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلاَ ٱلإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيۤ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

وتفسير النور هنا لا يخرج عن كونه المقصود به الكتاب الذي هو القرآن ، أو الإيمان ، أو هما معا كما قال الرازي في تفسيرها:

"واختلفوا في الضمير في قوله { وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ } منهم من قال إنه راجع إلى القرآن دون الإيمان لأنه هو الذي يعرف به الأحكام، فلا جرم شبه بالنور الذي يهتدي به، ومنهم من قال إنه راجع إليهما معاً، وحسن ذلك لأن معناهما واحد كقوله تعالى:{ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْواً ٱنفَضُّواْ إِلَيْهَا}الجمعة:١١ [٢]

غير أن وصف هذا النور بقوله: (نهدي بن من نشاء من عبادنا) يرجح كونه القرآن الكريم.

وأصرح من هذا ما ورد في سورة الأعراف: ١٥٧ من صفة القرآن بأنه نور، قوله تعالى: "وأتبعوا النور الذي أنزل معه". قال الزمخشري في تفسيرها:

(ٱلنُّورُ) القرآن. فإن قلت: ما معنى قوله { أُنزِلَ مَعَهُ } وإنما أنزل مع جبريل؟ قلت: معناه أنزل مع نبوّته، لأنّ استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به"[٣]

قال الرازي

---

[١] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٧/٦
[٢] الرازي، التفسير الكبير، ١٦٤/٢٧
[٣] الزمخشري، الكشاف، ١٢٢/٢-١٢٣

"{ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ } وهو القرآن. وقيل الهدى والبيان والرسالة. وقيل الحق الذي بيانه في القلوب كبيان النور"[١]

ولا شك أن الهدى والبيان وغيرها كلها مضمنة في هذا الكتاب الكريم ، لذلك اقتصر عليه الزمخشري في تفسيره.

وكما وصف الله القرآن الكريم بأنه نور، فكذلك أيضا وصف التوراة والإنجيل ، ففي:

الانعام: ٩١، "قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس".

وفي سورة المائدة: ٤٤، "إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور".

وفي آية ٤٦ من السورة نفسها "وأتيناه الإنجيل فيه هدى ونور" .

وقد سبق وصف القرآن الكريم أيضا في الشورى : ٥٢، بأنه هدى ونور، فـ(الهدى والنور) حالٌ من هذه الكتب، فإن ما فيها من الشرائع والأحكامِ . من حيث إرشادُها للناس إلى الحق الذي لا مَحيدَ عنه . هدىً ومن حيث إظهارُها وكشفُها ما استَبْهَم من الأحكام وما يتعلَّق بها من الأمور المستورةِ بظلمات الجهل نورُ ".[٢]

كما ورد لفظ النور منكرا في قوله تعالى : (أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ)الأنعام: ١٢٢، وقوله تعالى: " (فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ) الزمر:٢٢

وهو في الآيتين يعنى الهدى والبيان الواضح والبصيرة التي بها يعرف المؤمن الخير والشر، والصواب والخطأ، والحق والباطل، قال القرطبي: " النُّور عبارة عن الهُدَى والإيمان.[٣] قال أطفيش: "هو آيات القرآن وسائر الوحى، أَو هدى فى القلب بالآيات وسائر الوحى.[٤]

---

[١] الرازي، التفسير الكبير، ٢٢/١٥

[٢] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣٨/٨ بتصرف

[٣] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٧٨/٧

[٤] محمد اطفيش، تيسير التفسير، ٤٤٠/٣

أما النور في قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً) يونس: ٥، فيقصد به النور الحسي الذي يصدر عن القمر، كما عبر عنه المفسرين بقولهم "ذا نور"[١]

كما ورد لفظ (النور) معرفا في عدد من الآيات منها:

في البقرة: ٢٥٧ (يخرجهم من الظلمات إلى النور).

في إبراهيم : ١ (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور).

وفي إبراهيم : ٥ (أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور).

وفي الأحزاب: ٤٣ (ليخرجكم من الظلمات إلى النور).

وفي الحديد: ٩ (ليخرجكم من الظلمات إلى النور).

وفي الطلاق: ١١ (ليخرج الذين أمنوا من الظلمات إلى النور).

يلاحظ أن لفظ (النور) في هذه الآيات كلها جاء مقابلا للفظ (الظلمات)، والمعنى في كلها واحد، وهو أن رسالة الرسل عليهم السلام تقوم على هدف واحد هو إخراج الناس من ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية إلى الكفر، إلى الهدى الموصل إلى الإيمان.. قال الرازي: أجمع المفسرون على أن المراد هٰهنا من الظلمات والنور: الكفر والإيمان. قال الواقدي: كل ما كان في القرآن (مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ) فإنه أراد به الكفر والإيمان[٢]

ويرى الزمخشري أن المقصود ب(الذين أمنوا) الذين أرادوا الإيمان، و(الذين كفروا) هم من صمموا على الكفر، يلطف بالأولين حتى يخرجهم من الكفر إلى الإيمان، أو من الشبه في الدين إلى نور اليقين، والذين صمموا على الكفر على عكس ذلك.[٣]. ولم يرتض ابن عاشور المعنى الأول، لأن سياق الآيات يأباه، فقال:

"المراد بالنور نور البرهان والحق، وبالظلمات ظلمات الشبهات والشك، فالله يزيد الذين اهتدوا هدى لأنّ اتّباعهم الإسلام تيسير لطرق اليقين فهم يزدادون توغّلا فيها

---

[١] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٠٩/٨

[٢] الرازي، التفسير الكبير، ١٧/٧

[٣] الزمخشري، الكشاف، ٣٨٧/١

يوماً فيوماً، وبعكسهم الذين اختاروا الكفر على الإسلام فإنّ اختيارهم ذلك دل على ختم ضُرب على عقولهم فلم يهتدوا، فهم يزدادون في الضلال يوماً فيوماً. ولأجل هذا الازدياد المتجدّد في الأمرين وقع التعبير بالمضارع في " يخرجهم - ويخرجونهم " وبهذا يتضّح وجه تعقيب هذه الآيات بآية (ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم) البقرة: ٢٥٨ ثم بآية (أوْ كالذي مر على قرية)، البقرة: ٢٥٩، ثم بآية (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تُحْيي الموتى)، البقرة: ٢٦٠، فإنّ جميعها جاء لبيان وجوه انجلاء الشك والشبهات عن أولياء الله تعالى الذين صدق إيمانهم، ولا داعي إلى ما في «الكشاف» وغيره من تأويل الذين آمنوا والذين كفروا بالذين أرادوا ذلك، وجَعْل النور والظلمات تشبيهاً للإيمان والكفر، لِما علمت من ظهور المعنى بما يدفع الحاجة إلى التأويل بذلك، ولا يحسن وقعُه بعدَ قوله: (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) ، ولِقوله (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) فإنّه متعينّ للحمل على زيادة تضليل الكافر في كفره بمزيد الشك كما في قوله: (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله) هود: ١٠١، إلى قوله (وما زادوهم غير تتبيب).[١]

الخلاصة أن المقصود بالنور في الآيات السابقة إما أن يكون الإيمان نفسه، أو ما يؤدي إليه من الحق والبرهان، مقابل ظلمات الكفر، أو الشبه والوساوس المؤدية اليها.

وقد ورد لفظ النور بمعنى النهار كما في قوله تعالى (وجعل الظلمات والنور) الانعام :١، قال القرطبي: "واختلف العلماء في المعنى المراد بالظّلمات والنّور؛ فقال السّديّ وقَتَادة وجمهور المفسرين: المراد سواد الليل وضياء النهار. وقال الحسن: الكفر والإيمان".[٢]

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥٠٤/٢

[٢] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٨٦/٦

قال ابن عطية: "وهذا غير جيد لأنه إخراج لفظ بين في اللغة عن ظاهره الحقيقي إلى باطن لغير ضرورة، وهذا هو طريق اللغز الذي برىء القرآن منه"[١]

وجاء لفظ النور مقابلا للظلمات أيضا في قوله تعالى (أم هل تستوي الظلمات والنور) الرعد: ١٦

وفي فاطر: ٢٠ (ولا الظلمات ولا النور) ، والآيتان تتشابهان في مغزاهما وفي معناهما أيضا، فهي تمثيل لحال الكافر والمؤمن، والحق والباطل، قال الزمخشري:

(والظلمات والنور والظل والحرور: مثلان للحق والباطل، وما يؤدّيان إليه من الثواب والعقاب)[٢]

أما مضافا إلى الله فقد ورد لفظ النور في التوبة ٣٢ (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم)، وفي الصف: ٨ (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم)، وفي الزمر: ٢٢ " وفي كلا الآيتين وصف لمحاولة الكفار الوقوف في وجه هذا الدين ومقاومته بكل الوسائل، بتكذيب الرسل تارة ، وبمقاومته بالسلاح تارة أخرى، وهو ما عبر عنه القرآن بإرادة إطفاء نور الله.

قال القرطبي:

قوله تعالى: (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ) أي دِلالته وحججه على توحيده. جعل البراهين بمنزلة النور لما فيها من البيان. وقيل: المعنى نور الإسلام؛ أي أن يخمِدوا دين الله بتكذيبهم.[٣]

قال في الكشاف:

---

[١] ابن عطية، المحرر الوجيز، ٣/٦

[٢] الزمخشري، الكشاف، ٣٠٦/٣

[٣] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ١٢١/٨

مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب، بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق، يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الإشراق أو الإضاءة. ليطفئه بنفخة ويطمسه { لِيُظْهِرَهُ } ليظهر الرسول عليه السلام (عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ) على أهل الأديان كلهم. أو ليظهر دين الحق على كل دين"[1]

وورد أيضا مضافا إلى الله بلفظ (الرب) في قوله تعالى : (وأشرقت الأرض بنور ربها) الزمر: ٦٩، وهو وصف لحال يوم القيامة بعدما يجري الحساب على الخلائق وفق العدل الإلهي المطلق، فيجزى المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، ويقتص من الظالم للمظلوم، عندئذ تشرق الأرض بنور عدل الله الذي لا ظلم فيه، كما قال الله تعالى (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم)، غافر: ١٧

قال القرطبي:

قوله تعالى: (وَأَشْرَقَتِ ٱلأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) إشراقها إضاءتها؛ يقال: أشرقت الشمس إذا أضاءت وشَرَقت إذا طلعت. ومعنى: (بِنُورِ رَبِّهَا) بعدل ربها؛ قاله الحسن وغيره. وقال الضحاك: بحكم ربها؛ والمعنى واحد؛ أي أنارت وأضاءت بعدل الله وقضائه بالحق بين عباده. والظلم ظلمات والعدل نور.[2]

بقي أن نشير إلى أن النور ورد في آية واحدة مضافا إلى المؤمنين في قوله تعالى:

(يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) الحديد :١٢

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ١٨٦/٢

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٨٢/١٥

وفي الآية: ١٣ من السورة نفسها: (أنظرونا نقتبس من نوركم)، وقد اختلف في هذا النور ، هل هو نور حسي يعطاه المؤمنين كرامة لهم من الله، أم المقصود به نور الهداية والتوفيق حتى دخولهم الجنة، فقد نقل ابن عطية عن الضحاك بن مزاحم: أنه عبارة عن الهدى والرضوان الذي هم فيه. وقال الجمهور: بل هو نور حقيقة، قال الشيخ اطفيش: "والنور حسى على الصحيح وهو قول الجمهور وقيل معنوى وهو نجاتهم وفوزهم".[١]

وفي تفسير أبي السعود: (يَسْعَىٰ نُورُهُم) حالٌ من مفعولِ تَرَى قيلَ نورَهم الضياءُ الذي يُرَى (بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم) وقيلَ: هو هُداهُم وبأيمانِهم كتبَهم أي يسعَى إيمانُهم وعملهم الصالُح بينَ أيديهم وفي أيمانِهم كتبُ أعمالِهم، وقيلَ هو القرآنُ وعنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله تعالَى عنْهُ: (يُؤتَون نورَهُم على قدرِ أعمالهم فمنهُم مَنْ يُؤتى نوره كالنخلة ومنهم مَن يُؤتَى كالرجل القائمِ وأدناهُم نوراً مَنْ نورُه على إبهامِ رجلِهِ ينطفىءُ تارةً ويلمعُ أُخرَى). قالَ الحسنُ: يستضيئونَ به على الصراطِ. وقال مقاتلٌ: يكونُ لهم دليلاً إلى الجنَّةِ[٢]

المبحث الثاني

دراسة المثل الوارد في قوله تعالى (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ .. الأية)

دلالاته وصورة الممثل به

كنا قد أشرنا سابقا أن هذا المثل العظيم قد ورد في سياق بدأ بذكر العلم الذي أنزله الله تعالى إلى عباده ، والذي يتضمن الآيات البينات والأمثال المضروبة من أحوال الأمم السابقة وذلك في قوله تعالى (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) النور ٣٤ .

ثم ضرب الله تعالى مثلا لنوره في استقبال قلوب العباد له مبينا في المثل حقيقة ذلك النور ومادته التي تغذيه وأثره في استنارة القلب وبصيرته وذلك بقوله :

---

[١] ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤٠٧/١٦-٤٠٨

[٢] ابو السعود، إرشاد العقل السليم، ٢٠٨/٨

(**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ...الآية**) النور٣٥ . وهنا يقتضي منهج البحث العلمي قبل الوقوف على دلالة المثل في الآية السابقة وتوضيح الممثل به ، والنظر في جزئيات التمثيل وما يتضمنه من أسرار ومعان ، أن نبين بعض القضايا الآتية – بإيجاز – ضرورة أنها ذات صلة بموضوع البحث:

المطلب الأول :

معنى المثل لغة واستعماله في الكتاب العزيز، وبيان أغراضه وأهميته في كتاب الله تعالى .

أولا : معنى المثل لغة :

قال الراغب الأصفهاني : (المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ، ليبين أحدهما الآخر ، ويصوره . نحو قولهم : الصيف ضيعت اللبن ، وعلى هذا الوجه ضرب الله تعالى من الأمثال فقال :(**لَوْ أَنزَلْنَا الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لرأيته خاشعا مُتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ** لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) الحشر:٢١ ، والمثل يقال على وجهين : **أحدهما** :بمعنى المثل نحو شبه ونقص ، قال بعضهم: وقد يعبر بهما عن وصف الشيء نحو قوله تعالى (**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن** تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ..) الرعد : ٣٥.

والثاني : عبارة عن المشابهة بغيره في معنى من المعاني أي معنى كان وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة ، وذلك إن الند يقال فيما يشارك في الجوهر فقط، والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط ، والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط ، والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط ،والمثل عام في جميع ذلك ، ولهذا لما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر ، فقال(**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير**)، الشورى الآية ١١.[1] فهو سبحانه وصف نفسه

---

[1]- معجم مفردات القران الكريم ص٥١٦.

كذلك(لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله وثبوتها له على وجه الكمال الذي لا يماثله فيه شيء .[١]

ومن معاني المثل في المعاجم : (والمثل ما جعل مثالا مقدرا لغيره يحذى عليه)([٢]) كما يطلق لفظ (مثل) علما على كل قول اشتهر وتناقلته الألسن .والقول السائر هو الذي يشبه مضربه بمورده .ويراد بضرب المثل : الحالات والمواقف المتجددة التي يمكن أن يستعمل فيها المثل لما بينهما ، وبين مورد المثل من التشابه)[٣]، وفي الكشاف (والمثل في أصل كلامهم : بمعنى المثل ، وهو النظير . يقال : مثل ومثل ومثيل ، كشبه وشبه وشبيه . ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده : مثل . ولم يضربوا مثلاً ، ولا رأوه أهلا للتسيير ، ولا جديراً بالتداول والقبول ، إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه . ومن ثمّ حوفظ عليه وحمى من التغيير)[٤]. وغير ذلك من المعاني اللغوية التي تدل في جملتها على أن الأصل في معنى كلمة " المثل " هو النظير والشبيه ، وهذا ما اجمع عليه علماء اللغة[٥].وان كان ثمة معان أخرى فهي ترد إلى هذا الأصل

معنى المثل اصطلاحا :

يقول ابن القيم هو : (تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر

---

[١] - الصواعق المنزلة ٢ / ٦٧٧.

[٢] - انظر الزبيدي / محمد مرتضى الحسيني - تاج العروس من جواهر القاموس / دار الهداية /ج٣٠ ص٣٨٢

[٣] - عبد المجيد قطامش / الأمثال العربية / دراسة تحليلية - دار الفكر -دمشق - ط(١) سنة١٤٠٨هـ -ص١٤.

[٤] -الكشاف، الزمخشري ١ / ٤٣ ، باب ١٧ .

انظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥ / ٢٩٦ . والجوهري، الصحاح ، ٥ / ١٨١٦ .وانظر العسكري ، جمهور الامثال ، ١ / ٦ .[٥] -

واعتبار أحدهما بالآخر)[١] .وهذا ما ذهب إليه العلامة الراغب الأصفهاني فقال: (عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الأخر ويصوره)[٢] ، من خلال هذين التعريفين وغيرهما يتبين لنا أن المثل من الأمثال التشبيهية التي يتم المراد بها عن طريق القياس التمثيلي وهو: (الحكم على شيء بما حكم به على غيره بناء على جامع مشترك بينهما)[٣] ، قوامه ومداره (التشبيه) .فهو يستوعب في المثل القرآني لجميع صور البيان العربي ، لذا يعتبر بحق أزهى ألوان البلاغة الأخاذة في كتاب الله تعالى ، الذي استحوذ على اهتمام علماء علوم القرآن الكريم ،واعتناء أهل الفصاحة والبلاغة. وإذا كان علم البيان من الأهمية بمكان ، فان أهم ما فيه وأكثر ما يوشي الأجناس الأدبية منه هو التشبيه والاستعارة التي عمادها التشبيه . فالإشادة بعلم البيان إعلاء لشأن التشبيه.[٤]. والحقيقة أن الاعتناء والاهتمام لهذا النوع من البلاغة من قبل جهابذة العلماء لم تكن عبثا ، وإنما لامتيازه في القرآن الكريم بخصائص قيمة ، وكنا قد أشرنا إلى جانب منها .

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : ٧٥١هـ) ، أمثال القرآن ، تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد [١] -

الناشر : مطابع الصفا، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ١ /١٧ .

[٢]- المفردات للراغب الأصفهاني ص٥١٦ ،وانظر الأمثال العربية للأستاذ عبد المجيد قطامش ص١٢.

[٣]- مجموع الفتاوى ١٩٧/٩، ١٢٠.

[٤]- السيوطي / جلال الدين عبد الرحمن ت٩١١ / الإتقان في علوم القران / الطبعة الثالثة – ١٤١٦– ١٩٩٦ م – دار ابن كثير ، دمشق ، تقديم وتعليق / الدكتور مصطفى ديب البغا ج٢ /٧٧٣ ، وسأشير أليه لاحقا الإتقان في علوم القران .

ثانيا: أهمية المثل في القرآن الكريم وأغراضه:

من المعلوم أن العرب قد أولَوا الأمثال عناية كبيرة واستعملوها في لغتهم، وما كانت هذه العناية منهم إلا لمكانتها الرفيعة، وأحسن الأمثال هي ما ورد في القرآن الكريم فقد ضربت فيه لأغراض سامية، ومقاصد نبيلة، يمكن اختصارها بالآتي :

- رحمة الله تعالى بعباده وفضله عليهم بتعليمهم منه سبحانه ، وتفهيمهم عنه بمختلف أساليب البيان .

قال الزركشي رحمه الله تعالى (ومن حكمته تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة والمثل أعون شيء على البيان) . ويقول : (وفى ضرب الأمثال من تقرير المقصود مالا يخفى إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والشاهد بالغائب فالمرغب في الإيمان مثلا إذا مثل له بالنور تأكد في قلبه المقصود والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكد قبحه في نفسه)[١]. لذا أكثر الله تعالى في القرآن الكريم ، وفي سائر كتبه من الأمثال ،قال الله تعالى : **(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ)** الآية : ٥٨، وهذا ما ذهب اليه الفخر الرازي يقول رحمه الله تعالى : إن (الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد ، فيتأكد الوقوف على ماهيته ، ويصير الحس مطابقاً للعقل وذلك في نهاية الإيضاح)[٢]. إذن ضرب الله تعالى الأمثال للناس لم يكن إلا : (لأجلهم ولانتفاعهم ، وتعليمهم ، لكونه من الطرق الموضحة للعلوم ، لأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة ، فيتضح المعنى المطلوب بسببها فهي مصلحة لعموم الناس)[٣] .ولهذه الأهمية عدها أصحاب الرأي وفي مقدمتهم الفقيه المجتهد الإمام الشافعي رحمه الله تعالى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم التفسير فقال :(

---

[١]- الزركشي / البرهان في علوم القران – دار إحياء الكتب العربية / سورية ط١ / ١٩٧٦ ج١ص٤٨٧/ ٤٨٨.

[٢]- فخر الدين الرازي / التفسير الكبير /دار الكتب العلمية – بيروت –١٤٢١- ٢٠٠٠م ط١ج٢/ص٢٦.

[٣]- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ٦ / ٨٩.

ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوام على طاعته المثبتة لاجتناب معصيته ،وترك الغفلة عن الحفظ والازدياد من نوافل الفضل)([1]) .

– ومن مقاصدها : أنها تسهل للناس التفكر والتذكر والتعقل بما تشتمل عليه من مقايسة

الأمور ، وإلحاق النظير بنظيره ، أو المجهول بالمعلوم المحسوس أو المعقول مما يؤدي إلى استخلاص الدروس والعظات والعبر ، والحكم مما ورد في كتاب الله تعالى من الأمثال بمختلف أضربها .تأمل ورود قوله تعالى : (**لعلهم يتذكرون**) عقب قوله تعالى (**وتلك الأمثال نضربها للناس**) سورة الحشر:٢١ ، فما الذي تستنتجه ؟ إنها توضح بجلاء الأهمية الخاصة للأمثال ، قال ابن القيم: (فهذه وأمثالها من الأمثال التي ضربها الله تعالى لتقريب المراد ، وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به ، فانه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره ، فان النفس تأنس بالنظائر والاشباه الأنس التام ، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير . ففي الأمثال من تأنيس النفس ، وسرعة قبولها ،وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق ، أمر لا يجحده أحد ، ولا ينكره . وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا ، فالأمثال شواهد المعنى المراد ، ومزكية له ، فهي كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه وهو خاصة العقل ، ولبه ، وثمرته)[2] .

– ومن مقاصد ضرب الأمثال أن جعلها الله تعالى جزءا من حجته البالغة التي بلغها الرسل لأقوامهم ، وقد جاء ذلك واضحا في كتاب الله تعالى ، فبعد أن بين الله تعالى ما حل بفرعون وقومه من إهلاك ، وإغراق قوم نوح وإهلاكه عادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا قال الله تعالى : (**وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا**) الفرقان : ٣٩ ،وغير ذلك من الحكم القيمة ، والمنافع الجليلة العظيمة ، قد جمعها الزركشي في كتابه

---

[1]- انظر البرهان ج /١ –٤٨٦.

[2]- أعلام الموقعين عن رب العالمين ٢٣٩/١.

القيم البرهان في علوم القرآن بقوله: (وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة ، التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وترتيب المراد للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس ، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الامرأو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو إبطال أمر . قال الله تعالى : (**وضربنا لكم الأمثال...**) إبراهيم : ٤٥، فامتن علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد)[1] .

وبالجملة فقد تبين لنا مما تقدم شرحه ، أهمية ضرب الأمثال بمختلف أنواعها في كل ما أشرنا إليه بصورة موجزة .وثمرة العلم بهذه الأهمية ، والوقوف على أغراض ضرب الأمثال تتحقق وتبرز إلى عالم الوجود بتضافر جهود أهل العلم بالعناية بالأمثال بدراستها دراسة فاحصة متأنية هادفة ، والقيام على نشرها بين الناس بشتى وسائل الإعلام ، والمجالات المتاحة ، لتنعكس ايجابا على واقع الناس من الهداية والإرشاد وتمكينا لحجة الله تعالى على عباده

المطلب الثاني :

عناصر المثل في قوله تعالى :(مثل نوره كمشكاة ....)

وما تضمنه التمثيل من معان وأسرار

هذا مثل ضربه الله تعالى بعد أن جلا هذا الأفق المترامي لنوره الذي يضيء الوجود كله، ليقربه إلى العقول البشرية القاصرة المحدودة ، ويدنيه من المدارك والتصورات ، ويخرجه من عالم ما وراء الحس إلى عالم المحسوس ، لأن نور الله تعالى في ذاته لا يمكن لبشر أن يتصوره حقيقة أو خيالا ، لأنه- كما وضحنا – صفة من صفاته ، وكما لا تدرك ذاته جل جلاله ، فكذلك لا تدرك صفاته (ليس كمثله شيء).

---

[1]- البرهان في علوم القران ٤٨٦/١ ، ٤/ ٢ ،٥.

والحقيقة أن الاعتناء والاهتمام لهذا النوع من البلاغة التي تتجلى في ضرب هذا المثل وغيره من الأمثال في كتاب الله تعالى من قبل جهابذة العلماء لم يكن عبثا ، وإنما لامتيازه في القرآن الكريم بخصائص قيمة ، وكنت قد أشرت إلى جانب منها[1] ، وحتى يتأتى لنا إدراك هذا المثل الوارد في قوله تعالى(**مثل نوره كمشكاة** ....) ، فلا بد أن نعرض له بشيء من التمعن والتأمل والتدبر ، فهو يصف ويمعن حتى تصبح الصورة دقيقة واضحة أخاذة لكونه يملك القدرة الفائقة في اختيار ألفاظه الدقيقة الجزلة المصورة الموحية . كما يلاحظ انه يستمد عناصره من واقع الطبيعة ، وذلك سر بقائه وخلوده ، ، وسر عالميته للناس جميعا وهو في حالة استمرار ما بقيت الطبيعة يدركون عناصره فيؤثر فيهم ، إذ يرونها ماثلة لأبصارهم قريبة منهم وبين أيديهم لا تخفى عليهم ، فلا تجد في القرآن تشبيها متكلفا لحالة خاصة ، لذلك لم يكن إدراك جماله خاصا بفرد دون فرد بل هو ميسور لجميع أصحاب الذوق مهما توالى الزمان .

والحقيقة أن ما ورد في التشبيه الذي نحن بصدده في الآية السابقة انه ليس عنصرا إضافيا في الجملة ، فلم يرد لمجرد تزيينها بعد تمام معناها ، ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى بغيره . فعمله في الجملة انه يعطي الفكرة في صورة واضحة جلية مؤثرة ، فهو لا يمضي إلى التشبيه كأنه عمل مقصود لذاته ، ولكنه يأتي ضرورة في الجملة يتطلبه المعنى ليصبح واضحا جليا . وهذا في نهاية البلاغة .قال ابن القيم :(وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقر به عيون أهله وتبتهج به قلوبهم)[2].

ولما كان القياس قائما على التشبيه الذي يعتبر من أقدم صور البيان وأهمها ؛ لذا كان من المناسب ذكر طبيعة التشبيه الذي نحن بصدد الحديث عنه

---

[1] - لمزيد معرفة فوائد ضرب المثل في كتاب الله تعالى ، انظر الإتقان في علوم القران ص١٠٤١/ ١٠٤٢.

[2] - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص٨ .

في هذا المبحث ، وذكر بعض مباحثه التي يحتاج اليها ، ليتضح لنا من خلالها خصائص المثل القياسي من حيث سرعة الفهم ، ودقة التصوير ، وإصابة المعنى ، وتحقيق الأهداف المرجوة بما يعود بالفائدة والنفع على عموم المسلمين . كما أن إعجاز القرآن الكريم وبلاغته تحقق لمن يتأملها النفع ، وتفتح لمن يتمعن فيها آفاقا بعيدة من الفوائد المتعددة ،والمقاصد النبيلة السامية .

عناصر المثل في قوله : (مثل نوره كمشكاة ....)

يبين الله تعالى أقرب مثل للنور- الذي لا يعرف كنهه أحد ولا يدرك سره أحد – في تصورنا هو النور المنبعث من مصباح في زجاجة داخل مشكاة هي أشبه بالوجود الذي يستضيء بنور الله تعالى. فأين المشبه والمشبه به ووجه الشبه في هذه الآية الكريمة ، هذا ما سأبينه في هذا المطلب إن شاء الله تعالى .

أولا : المشبه : دلت الآية الكريمة السابقة على أن المشبه هو : نور الله تعالى ، فما المراد به ؟ لقد اختلف العلماء في تحديد معناه على أقوال عدة منها : إن المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل المراد به : المؤمن ، وقول ثالث إن المقصود به القرآن الكريم وهديه . والذي نطمئن إليه من هذه الأقوال ، أن المراد بنوره : القرآن الكريم . أما الأقوال الأخرى فليس في الكلام ما يدل عليها ، ذكر ذلك أئمة التفسير ومنهم شيخ المفسرين الطبري رحمه تعالى . قال : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : ذلك مثل ضربه الله تعالى للقران في قلب أهل الإيمان به . فقال : مثل نور الله تعالى الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين مثل مشكاة)[1] ،

١- تفسير الطبري / ضبط وتوثيق صدقي جميل العطار /١٤٢٠ه - ١٩٩٩ / طبع دار الفكر، بيروت /ج١٨/ ص١٨٦ _ ١٨٧ وانظر الالوسي ، تفسير روح المعاني ج١٨/ ١٧٣ دار احياء التراث العربي - بيروت .

ومما يدل على هذا الرأي: الآية السابقة لآية المثل (**ولقد أنزلنا....**)(آية : ٣٤) ، فيظهر أن قوله: (**مثل نوره...**) بيان لتلك الآية. فقوله :(آيات) وما تدل عليه من معان وصفها ب (مبينات) ما يهفو إليه السامع من معرفة ماهية الآيات وما تفسيرها ، فالجملة مستأنفة استئنافا بيانيا)[1]. والذي يقرر هذا القول ويؤكده : أن القرآن الكريم قد وصف بالنور في أكثر من آية كقوله تعالى:(**يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً**] (النساء : ١٧٤) .. مبينا يعني القرآن[2]، وقوله تعالى : (**يُرِيدُونَ أَن يطفئوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**] (التوبة:٣٢) ،أي يريدون أن يردوا القرآن بألسنتهم تكذيبا.[3].وفي ضوء دلالات هذه الآيات الكريمة ، اتضح لنا بما لا يدع مجالا للشك أن المراد ما تقدم بيانه ، وأن الممثل بالمعني الذي وضحته.

ثانيا : المشبه به

تبين لنا آنفا أن المشبه هو ما علم من صفات الله تعالى المشار إليها في قوله تعالى : (**الله نور السموات والأرض**) لأنه ليس لنور الله تعالى مثل يشبهه في ذاته . فنور الله تعالى ليس كشيء من الأنوار ، كما أن ذاته سبحانه ليست كشيء من الذوات ، وإذا كان علماء البيان قد أشاروا إلى أن المشبه به يكون أرفع من المشبه إلا أن ذلك ليس مطردا (بل قد يكون التشبيه بالمثل بل وبالدون كما في قوله تعالى (**مثل نوره كمشكاة**) وأين يقع نور المشكاة من نوره تعالى ، ولكن

---

[1]- انظر التحرير والتنوير ج١٨/٢٣٤/٢٣٥.
وانظر الرازي / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي ت٦٠٤ / التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب الطبعة الأولى /١٤١١- ١٩٩٠ م دار الكتب العلمية – بيروت /ج٢٣ / ص٢٠٥ وسأشير إليه لاحقا : التفسير الكبير.

٢- ا لبغوي : ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء / تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل / تحقيق خالد العك ومروان سوار الطبعة الثالثة /١٤١٣ / ١٩٩٢م ، دار المعرفة – بيروت – ج١ / ص ٥٠٣ .

٣- انظر المرجع السابق ج٢ص ٢٨٦ وص١٢٨ .

لما كان المراد من المشبه به أن يكون ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة)[١]. ولهذا قال الله تعالى : (**مثل نوره كمشكاة**) ولم يقل : نوره كمشكاة فيها مصباح ، وهو ما يعبر عنه بالتشبيه المقلوب ،لان جلاء نوره إنما في حقيقته ،ونور الله تعالى مطلق ،ولا حاجة كذلك إلى تقدير كنور مشكاة كما يقول بعض المفسرين ، لان المشبه به ليس هو نوره كمشكاة وحدها ، (وإنما هو يتكون من عناصر عدة :مشكاة ، ونور المصباح ، ونور الزجاجة الدرية ، والزيت الذي يوقد منه المصباح ، والنور المنبعث من المصباح ، وهو المراد بقوله : (**نور على نور**) ولهذا لم يصرح بلفظه بعد كاف التشبيه . قال ابن عاشور :(وإنما قدم المشكاة، لان لفظ المشبه به هو مجموع الهيئة، فاللفظ الدال على المشبه به هو مجموع المركب المبتدى بقوله كمشكاة..والمنتهي بقوله:(ولو لم تمسسه نار)[٢] فالمثل مكون من أربعة أجزاء رئيسة هي :

أ . **المشكاة** : الوعاء يجعل فيه الشيء ومنه قول الشاعر: كأن عينيه مشكاتان في جحر. والمراد بها : الكوة غير النافذة يوضع فيها المصباح فتحصر نوره وتجمعه فيبدو قويا متألقا.[٣] وهذا وجه تخصيصها بالذكر دون غيرها. وهذا ما أكده العلماء ، قال الشوكاني:(ووجه تخصيص المشكاة أنها أجمع للضوء الذي يكون فيه مصباح أو غيره)[٤]، ويبدو ذلك جليا مما تقدم ذكره من تفسير لمعنى المشكاة الذي يدل على أنها هي الوعاء الذي يجمع النور ، ويجعله قويا ، وبدونه يبدو ضعيفا عاجزا عن كشف المرئيات ، ولهذا كانت المشكاة أحق بالتقديم من المصباح ، وهذا أحد أوجه الإعجاز البياني في هذه الآية الكريمة ، ويتضح لنا ذلك إذا أدركنا أن المراد بالمشكاة هي مدار الأنوار كلها ، ومنبعها الذي لا ينفد .

---

[١] -فتح الباري / ج١١/١٦٢.

[٢] - التحرير والتنوير ج١٨/ ٢٣٥.

[٣] - انظر تهذيب اللغة لأبي منصور مجمد بن احمد الأزهري ٣٠١/١، تحقيق علي حسن هلالي / الدار المصرية، والمفردات ٢٦٦، والكشاف ٣/ ٦٧.

[٤] - فتح القدير / المطبعة العصرية – صيدا – بيروت – ط٢ / ١٤١٩ ١٩٩٨ م، مراجعة الشيخ هشام البخاري وزميله ج٤/ ص٤١.

وفي حديث النجاشي مشيرا إلى ما سمع من كلام الله عز وجل : (إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة) ، أراد أن القرآن الكريم والإنجيل كلام الله تعالى، وأنهما شيء واحد . فالمشكاة هي مثل للذات الإلهية المقدسة ، وليست مثلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، أو صدره ، أو جوفه وليست مثلا للمؤمن أو صدره أو جوفه كما ذكر ذلك عن بعض المفسرين ككعب وغيره .

ب . **فيها مصباح** ، قال الراغب :_ يقال للسراج مصباح[١]. وفي تهذيب اللغة : المصباح نفس السراج ([٢])وأصله من الضوء ، ومنه الصبح وما انعكس من شعاعه وسطوعه على الأجسام الصقيلة المعتمة هو نوره ، وهو مع ما ذكر معه من صفاته مثل لنور الله تعالى في الوضوح والظهور والتنوير والإنارة والهداية . والمراد به كما قال البيضاوي: سراج ضخم ثاقب[٣] .

ج . **المصباح في زجاجة** ، والزجاجة : هي القنديل من البلور جعل فيها المصباح، لان الضوء في الزجاج أظهر وأبين منه في كل شيء، ووجه ذلك أن الزجاج جسم شفاف[٤] يظهر فيه النور أكمل ظهور .

والحقيقة أن في إعادة لفظ المصباح دون أن يقال فيها مصباح في زجاجة كما قـــال : (كمشكاة فيها مصباح) سرا بلاغيا ، كما قال أهل البيان ، وذلك (للتنويه بذكر المصباح لأنه أعظم أركان التمثيل، وكذلك إعادة لفظ الزجاجة في قوله (الزجاجة كأنها كوكب دري) لأنه من أعظم أركان التمثيل ، وتسمى مثل هذه الإعادة تشابه الأطراف في فن البديع[٥]. ثم وصف الزجاجة فقال : (الزجاجة كأنها كوكب ذري) ، هذه الزجاجة لصفاء جوهرها ، وحسن منظرها كأنها كوكب دري ، أي كوكب ساطع النور مثل الزهرة والمشتري ، أي منسوب إلى الدر في

---

[١]- المفردات ٣٧٣ وانظر تاج العروس ج٦/ص٥٢١،٥٢٠.

[٢]- تهذيب التهذيب لأبي منصور الأزهري ٥٨٢/١٠.

[٣]- تفسير البيضاوي ،دار الفكر – بيروت ج١٨٨/٤ وانظر روح المعاني للالوسي ١٨/ ١٦٦ وانظر البحر المحيط – دار الكتب العلمية - لبنان – بيروت /١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ط١ – ج٦ ص ٤١٩.

[٤]- المفردات ٢١١.

[٥]- التحرير والتنوير ٢٣٦/١٨.

صفاء اللون وبياضه[١] ، وإنما سلك طريق التشبيه في التعبير عن شدة صفاء الزجاجة، لأنها أوجز لفظا، وأبين وصفا، وهذا تشبيه منفرد في أثناء التمثيل. وهكذا يؤخذ من تشبيه الزجاجة بالكوكب الدري معنى الإضاءة والتلألؤ ، ومن المعلوم أن أهدأ الألوان وأجملها هو ذو اللون الدري .وفي النص السابق سر بلاغي آخر هو أن في : (إعادة المصباح والزجاجة معرفين إثر سبقهما منكرين ،والإخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب درى تفخيم لشأنهما، ورفع مكانتهما بالتفسير إثر الإبهام والتفصيل بعد الإجمال ، وبإثبات ما بعدهما لهما بطريق الإخبار المنبئ عن القصد الأصلي دون الوصف المبني على الإشارة إلى الثبوت في الجملة ما لا يخفي[٢]

د . الزيت الذي يوقد به المصباح

بعد أن شبه الله تعالى الزجاجة وفيها المصباح بالكوكب الدري المتلالىء ، عاد ثانية إلى المصباح فأخبر انه :(يوقد من شجرة) ،وقد وصفت بأنها : (مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) . وزيتونه بدلا من شجرة ، والمعروف أن شجر الزيتون من أفضل الأشجار ، لأن كل ما فيه هو مما ينفع الناس زيته وخشبه وورقه. ومما يدل على أهميتها وتفخيم شأنها: كونها جاءت مبهمة ، ثم الإبدال منها ووصفها بأنها مباركة ، ولهذا قدمت على زيتونة[٣].وقيل إنما وصفت ، لأنها تنبت في الأرض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين، وهي أقرب منابت الزيتون لجزيرة العرب، والى ذلك أشار الله تعالى (**وشجرة تخرج من طور سيناء**) (المؤمنون : ٢٠)

---

[١]- المرجع السابق ١١٨/ ٢٣٨.

[٢]- البحر المحيط ،ج٦/ص ١٧٦.

[٣]- انظر تفسير ابي السعود /وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ج٤ ص٤٦٢.

وقد دل وصف لفظ شجرة (**لا شرقية ولا غربية**) :(أي لا في مضحى ولا مقنأة . ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها)[١] ، فهي جمعت الأمرين ،وهي كما يقول ابن قتيبة (فهي شرقية وغربية تصيبها الشمس في وقت ويصيبها الظل في وقت)[٢] لأن ما اختص بإحدى الجهتين كان أقل زيتا وأضعف ضوءا ، وقيل (إنها في مستوى من الأرض في مكان فسيح باد ظاهر ضاح للشمس تقرعه من أول النهار إلى آخره ليكون ذلك أصفى لزيتها وألطف)[٣] .وهذا هو الواقع فهو أصفى نور يعرفه المخاطبون بهذا المثل ، كما أن فيه من المنافع والفوائد العظيمة ، دل عليها ما ورد من الآثار ، وذكره أهل التخصص من الأطباء وغيرهم . روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة "[٤].

إذن زيت الزيتون زيت آخر عجيب يكاد من شدة صفائه وإشراقه يضيء بغير احتراق . (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) فهو في الصفاء والإشراق بحيث يضيء بنفسه على الرغم من عدم مساس النار له أصلا .(ويكاد) تستعمل كاد لمقاربة الفعل أي قارب الحصول ولم يحصل.(٥) والشائع في خبره أن يكون فعلا مضارعا غير مقترن ب(أن) المصدرية الاستقبالية . أما كونه فعلا مضارعا فلدلالته على الحال المناسب للقرب ، حتى كأنه لشدة قربه قد وقع ، وأما كونه غير مقترن ب (أن) فلمنافاتها لما قصدوا من دلالته على الحال . فلو قيل (يكاد

١- الزمخشري، الكشاف ج٣/ص ٢٤٦.

٢- ابن قتيبة ، غريب القران ٣٥.

٣- المفردات ٤٥٩.

٤- انظر سنن الترمذي ٢٨٥/٤ورقم الحديث ١٨٥٢/١٨٥١ وانظر سنن النسائي الكبرى١٦٣/٤ رقم الحديث ٦٧٠١، ٦٧٠٢ وانظر سنن ابن ماجة ١١٣/٢ رقم الحديث ٣٣١٩.

٥- التحرير والتنوير ج١٨/ ٢٤٣/٢٤٢.

زيتها أن يضيء) لدل ذلك على بعد وقوع الخبر ، لأنه إن وقع فسيكون وقوعه في المستقبل ، وهذا خلاف المراد .

وأما (لو) فهي أداة شرط جعلت مع ما بعدها (لم تمسسه نار) شرطا للجملة قبلها وقيدا لها من الواو كما في قولنا : (يعطى السائل ولو كان فقيرا) . فالإعطاء في الجملة الأولى مشروط بكون السائل فقيرا ، وليس كذلك الإعطاء الثاني في الجملة الثانية ، والفرق بينهما أن الأول : يجري بوجود الشرط لان كون السائل فقيرا يناسب أن يعطى ، وأما الإعطاء الثاني فيجري رغم وجود الشرط ، لان كون السائل غنيا لا يناسب أن يعطى بخلاف الأول . وعلى الثاني ورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم (أعطوا السائل ولو كان على فرس) لأن كون السائل على فرس مشعر بغناه ، والغني لا يناسبه الإعطاء ، ولهذا أدخلت الواو على لو فأفادت معها معنى (رغم) فأصبح مفاد الكلام أعطوا السائل رغم كونه غنيا ، وعلى هذا يحمل قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) ، أي يكاد يضيء رغم عدم مساس النار له ، فتأمل أهمية ذكر الواو التي جيء بها لتحصن المعنى وتقويه ، ولتربط ما بعدها بما قبلها ، وبدونها يختل المعنى ونظم الكلام .وفي قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء) إشارة إلى أن الضوء ما يكون للشيء لذاته كما للشمس والقمر والسراج والزيت ، بخلاف النور الذي لا يكون إلا من غيره كما للقمر، والدليل على ذلك قوله تعالى (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يونس:٥**. ولهذا وصف الله تعالى الضوء بأنه النور الذي تدرك به حاسة البصر الأجسام المعتمة، والله تعالى قد فرق بينهما تفريقا دقيقا.ففي الآية السابقة وصف أشعة الشمس بالضياء ووصف أشعة القمر بالنور ، وأصل كل منهما الضوء المنبعث من السراج ، وهذا ما أشار إليه تبارك وتعالى في قوله (**تبارك الذي جعل في السماء بروجا ..**) الفرقان :٦١، وقوله تعالى :(**وجعلنا سراجا وهاجا**) النبأ: ١٣. فشبه الشمس تارة بالسراج ، وتارة أخرى بالسراج الوهاج ، والسراج : هو المصباح الذي يضيء بالزيت ، أو أي نوع آخر من أنواع الوقود

. والوهاج : هو الحار المضيء ..وشعاع ضوئه وسطوعه على الأجسام المعتمة هو الذي يسمى نورا . ولهذا وصف الله القمر بأنه مضيء . والسر في ذلك أن القمر يستمد نوره من ضوء الشمس ، ثم يعكسه فيبدو لمن يراه مضيئا.

نور على نور :تبين لنا أن نور الله تعالى الذي يقوم عليه الكون كله قد شبه بنور سراج في مشكاة اجتمعت له دواعي الإضاءة كلها ليزيد من قوة الضوء ووضوحه وصفائه ، ولهذا أخبر الله تعالى عنه ووصفه بقوله : (نور على نور) أي : نور متضاعف تعاون عليه المشكاة البلورية ،[1] والمصباح والزجاج الصافي صفاء الكوكب الدري ، يضاف إلى هذا الضياء كله مادة الزيت الصافية النقية التي تكاد من شدة إشراقها يضيء ولو لم تمسسها نار ، فلم يبق مما يقوي النور ويزيده إشراقا شيء ، لان المصباح إذا كان في مشكاة كان أجمع لنوره ، وإذا كان في زجاجة درية كان أعون على زيادة نوره ، وكذلك إذا كان وقوده الزيت النقي الصافي[2]، وهذا النور المحقق عند نزول القرآن الكريم ولا يعرف غيره، لا يقلل من جلاله وروعته ما جد بعد ذلك من مخترعات علمية وتقدم في وسائل الإضاءة والإنارة ، فهو نور وديع لطيف يتصف بالهدوء على خلاف الأنوار الأخرى.ولعل هذا السر في ضرب المثل بهذا النور دون نور الشمس ، وهو أبهى بهاء وأقوى قوة من كل نور يعرفه البشر .وبهذا يكون قد تم المثل بقوله تعالى:(نور على نور)،وتبين لنا أن عناصر التشبيه السابقة تمتاز بخاصية الإضاءة والتنوير ، وكل هذا يشير بأن مدارك الإنسان محدودة في أدوات هذه الحياة ، وبها يبقى مرتبطا بالله تعالى مدبر الأمر ، لذا يقول الله تعالى في فاصلة هذه الآية " يهدي لنوره من يشاء " وهكذا ظهر لنا أن هذا التصوير لمثل النور الإلهي لم يأت عبثا ، إنما جيء به لتحقيق غرض نبيل كما تبين آنفا .

---

[1] - انظر الزمخشري، تفسير الكشاف، ت: محمد مرسي - الناشر دار المصحف - القاهرة -ج٤ / ١٢٨

ثالثاً : تحديد ما يقابل أجزاء الممثل به :

فيما سبق تبين لنا دلالة المشبه، كذلك صورة المشبه به الذي هو: مجموع أجزاء المركب التمثيلي ابتداء من المشكاة، ومرورا بالزيت، وانتهاء بالنور المنبعث من المصباح، وكلها عوامل تضافرت لتزيد من قوة الضوء ووضوحه وصفائه. فما وجه الشبه بين أجزاء ركني التشبيه ؟

لو رجعنا إلى كتب التفسير للتحقق من هذه المسالة لرأينا أن العلماء من المفسرين لهم صيغ متعددة في كشف أوجه الشبه بين المشبه والمشبه به ، كل يعبر عنه بما يراه بثاقب فكره وعميق إدراكه وقدرته على الاستنباط ،ولما كان ذكر كل ما عرضه العلماء من آراء حول هذه المسألة فيه إطالة ، وليس من أغراض هذا البحث ، لذا فإنني سأعرض ما هو أكثر شهرة وتداولا ، واخص بالذكر ما ورد في كتاب التحرير والتنوير ، فقد عدها مؤلفه في أوجه عدة هي :

١. المشكاة يشبهها ما ورد في الرشاد الإلهي من انضباط اليقين ، وإحاطة الدلالة بالمدلولات دون تردد ولا انثلام .
٢. وحفظ المصباح من الانطفاء مع ما يحيط بالقرآن من حفظه من الله تعالى بقوله :(**إنا نحن نزلنا القرآن وإنا له لحافظون**) الحجر: ٩ .
٣. ومعاني هداية إرشاد الإسلام تشبه المصباح في التبصير والإيضاح وتبيين الحقائق من ذلك الإرشاد .
٤. وسلامته من أن يتطرق الشك واللبس يشبه الزجاجة في تجلية حال ما تحتوي عليه . كما قال الله تعالى:(**ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات** ..) النور : ٣٤.
٥. والوحي الذي بلغ الله تعالى به حقائق الدين من القرآن الكريم والسنة المباركة يشبه الشجرة المباركة التي تعطي ثمرة يستخرج منها دلائل الإرشاد.

٦. وسماحة الإسلام ، وانتفاء الحرج عنه ، يشبه توسط الشجرة بين طرفي الأفق ، فهو وسط بين الشدة المحرجة ، وبين اللين المفرط . ودوام ذلك الإرشاد وتجدده يشبه الإيقاد.

٧. وتعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته القرآن الكريم ، وتشريع الأحكام يشبه الزيت الصافي الذي حصلت به البصيرة، وهو مع ذلك قريب المتناول يكاد لا يحتاج إلى إلحاح المعلم .

٨. وانتصاب النبي صلى الله عليه وسلم للتعليم يشبه مس النار للسراج ، وهذا يوميء إلى استمرار هذا الإرشاد .

٩. كما أن في قوله : (من شجرة) يومئ إلى الحاجة إلى اجتهاد علماء الدين في استخراج إرشاده على مرور الأزمنة ،لأن استخراج الزيت من ثمرة الشجرة يتوقف على اعتصاره الثمرة وهو الاستنباط.

١٠. تلكم هي أوجه الشبه كما يراها هذا العالم وغيره من وجهة نظرهم[١]. والحقيقة لا أدري ما الذي جعلهم يقرون هذا النوع من التفسير ، فهم يرون أن فهم الآية بهذا اللون من التفسير، هو نوع من التفسير المأثور . ويوردون على ذلك آثارا مروية عن بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم : ابن عباس وأبي بن كعب وغيرهما رضي الله تعالى عنهم[٢]، ولذا نرى أن الشوكاني قد أنكر هذا النوع في فهم الآية الكريمة ، وعده نوعا من الألغاز.فقال: (إن النظم القرآني بهذا المروي ونحوه ليس ما تقتضيه لغة العرب ، ولا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجوز العدول على المعنى العربي إلى هذه المعاني التي هي شبيهة بالألغاز والتعمية)[٣]. وقول الشوكاني رحمه الله تعالى هو الصواب ، لان

---

[١]- انظر التحرير والتنوير ١٨ /٢٤٣- ٢٤٤ . وانظر تفسير ابن القيم لابن القيم ص ٣٧٨- ٣٧٩

[٢]- ينظر إلى التفاسير الآتية تفسير الطبري ١٣٧/١٨ وزاد المسير ٤٤/٦ والدر المنثور ٦/ ١٩٨ .

[٣]- انظر فتح القدير ٤ /٣٥.

القران الكريم قد هذب اللغة العربية من الحوشيّ والغريب ، وأحالها إلى لغة صافية شفافة جذابة ، وانتهج أسلوبا رائعا زاهيا أنيقا جزلا يستصغي الآذان ، ويلامس شغاف القلوب .والذي يقرر هذا القول ويؤكده ، تذييل آية مشكاة النور بجمل ثلاث. فقد جاء عقبها مباشرة:

---

١ . (يهدي الله لنوره من يشاء). فالله تعالى خالق القدرة في العبد على الطاعة ، وتلك خصوصية لله جل جلاله، وهذا هو المقصود بالآية .وكلمة هداية التي هي : دلالة بلطف.[١] هنا : إرشاد للتشريع([٢]). وليس للذات الإلهية جاء على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام **(وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]** (الشورى الآية :٥٢.) وقوله (من يشاء) ليس رغما عن الله تعالى ، فان لم يشأ هدي أحد خلقه وجعله على الكفر والإلحاد ، فقد ورد عن مسلم : عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :ثم إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء)([٣]) ،فالله تعالى قد وضع للهداية سننا من اتبعها اهتدى ، ونهج طريق الحق وسار على درب مستقيم . ومن لم ينهجها فقد ضل ضلالا مبينا وسار على درب مظلم .

كنا قد أوضحنا في مطلب سابق أن ضرب المثل إنما جاء لحكم عظيمة منها العبرة ، والعبرة هنا تشريع الله تعالى، وهدايته قال أبو السعود :(ويضرب الله الأمثال للناس في تضاعيف الهداية حسبما يقتضي حالهم ،فإن له دخلا عظيما في باب الإرشاد ، لأنه إبراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لأوابد المعاني

---

[١]- المفردات ٥٣٨ .

[٢]- هناك معاني أخرى لكلمة الهداية فارجع إليها إن رغبت في كتاب المفردات /٥٣٨- ٥٣٩

[٣]- صحيح مسلم/ دار إحياء التراث العربي /بيروت / ت/ محمـــــد فؤاد عبد الباقي ج٤ / ٢٦٣/ رقم الحديث ٢٠٦٣ .

بصورة المأنوس، ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة)[١] ، وهذا ما أكده الالوسي قال :(وضرب الأمثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الأولى بمن شاء والثانية بالناس كافة).[٢] ،أما لو كان الفهم للنور في قوله (مثل نوره) النور الغيب للذات الإلهية ، لما كان فيه عبرة ولا عظة ، لأننا لم ولن ندرك بالمثل ولا بغيره حقيقة الذات .

قال ابن عاشور: (إن الله تعالى يضرب الأمثال للناس مرجوا منهم التذكير بها ، فمنهم من يعتبر ويتعظ بها فيهتدي ، ومنهم من يعرض فيستمر على ضلاله ، ولكن شان تلك الأمثال أن يهتدي بها غير من طبع على قلبه)[٣] .

٣ . الجملة الثالثة : (والله بكل شيء عليم)

هذه العبارة تذييل لمضمون ما جاء في العبارتين اللتين قبلها ، أي: لا يعزب عن علم الله تعالى شيء ، ومن ذلك علمه بما هو قابل للهدى ، وبمن هو مصر على غيه ، وفي هذه الجملة : تعريض بالوعد للأولين والوعيد للآخرين.[٤] ، جاء في صفوة البيان لمعان القرآن: (مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل في بيانه، ومثل هدايته في قلوب عباده المؤمنين كنور المصباح في تألقه وصفائه. فقد شبه في الآية الكريمة نور الله تعالى بمعنى أدلته وآياته سبحانه من حيث دلالتها على الحق والهدى وعلى ما ينفع الخلق في الحياتين ، بنور المشكاة، فكما أن نور المصباح في القوة تضافر معه نور الزجاجة الدرية ، والزيت الصافي النقي ، فكذلك تشريع الله للأحكام يزداد قوة ووضوحا على وضوح فهو منه تعالى بينه للبشر بواسطة جبريل عليه السلام للرسول عليه الصلاة والسلام ، وبلغه لقومه

---

[١] -انظر تفسير أبى السعودج١٧٧/٦ .

[٢] -انظر الألوسي، تفسير روح المعاني ، ج١٧٣/١٨.

[٣]- التحرير والتنوير ٢٤٤/١٨ .

٤- انظر تفسير البيضاوي ج١٩١/٤ وانظر المرجع السابق بنفس الجزء والصفحة.

مدعوما بما يدل على صدقه من البراهين والحجج فزادت قوة ووضوحا[١] ،هذا التوضيح لكلمة النور ضمن السياق القرآني التي وردت فيه هو الذي نطمئن إليه لأنه المطابق لصورة الممثل به ، وتكاد تتفق التفاسير المأثورة على أن المراد من النورين هو القرآن الكريم ، وما دل عليه من العلم والعمل.[٢]

وعلى هذا يتبين خطأ من فسر كلمة النور بأن المراد بها البراهين والحجج الكونية ، فهذا بيان لا يستقيم لان في ذلك صرفا عن دلالة المثل وسياقه المؤيد من كتاب الله تعلى وما اثر عن العلماء الأجلاء على نور العلم ، وأهميته في الهداية ،وحصول الإيمان وزيادته ، ولأننا لو استقصينا كتاب الله تعالى ، وتتبعنا آياته،فانا لا نجد ما يدل على أن كلمة النور استعملت بمعنى الحجج الكونية ، ولكن وردت في الآيات الكريمة بما يدل على أن استعمال هذا اللفظ بمعنى العلم والإيمان وغيرهما من المعاني كما أشرت إلى ذلك في بداية البحث

المطلب الثالث

<u>دلالة المثل وما يهدف اليه</u>

ان ضرب الله تعالى المثل الوارد في الآية القرآنية(مثل نوره ...) التي هي موضوع البحث ، لم يكن عبثا وإنما هو في الواقع لشدة حاجة الناس إليه ، وعظيم نفعه لـهم ، وإتمـاما للحجة عليـهم ، فهو كسائر الأمثال التي يضربها الله لهم في كتابه العزيز (لعلهم يتفكرون).والمتأمل في المعطيات المتقدمة المستفادة من صورة المشبه به في الآية السابقة ، والنظر في أقوال أهل العلم ، وما يؤيدها من الأدلة اليقينية نخلص إلى أن هذا التصوير لمثل النور الإلهي جيء (لتمثيل حال الدين أو الكتاب المنزل من الله تعالى في بيانه ، وسرعة فشوه في الناس بحال انبثاق نور المصباح وانتشاره فيما حف به من أسباب قوة شعاعه وانتشاره في الجهة المضاءة به)[٣] . وليس من شك في أن العلم المستقى من الوحي الإلهي

---

[١]- حسن مخلوف، صفوة البيان ،ج٢ /ص٨ .

[٢]- تفسير الطبري ج٣٢١/٩/٣٢٢/٣٢٨.

[٣] - التحرير والتنوير ٢٤١/١٨ وانظر التفسيرين الآتيين : تفسير أبي السعود ج١٧٧ وروح المعاني ١٦٩/١٨.

النازل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الطريق الوحيد لتزكية القلوب ، ومعرفة الحقائق الدينية ، وإمداد مصباح الإيمان بمادة نوره ، ومعرفة الإنسان لهذه الحقيقة التي دل عليها المثل من أسباب سعادته في الدنيا والآخرة ، فإذا أدرك وتيقن أن هدايته بالعلم بالكتاب والسنة المباركة والعمل بهما ، فقد وضع قدميه على المنهج القويم ، وسلك الطريق .

والحقيقة أننا بحاجة ماسة إلى الوقوف على هذا المثل، وتفحصه، وما أرشد إليه من فقه ليتبين لنا الطريق الحق لمعرفة الحقائق الإيمانية، ولا يكون ذلك إلا بالاسترشاد بتعاليم القرآن الكريم وهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم. وتلك مسؤوليتنا جميعا عن هذا الكتاب المجيد الذي أحدث تغييرا جذريا في الأمة العربية التي خاضت في فرقة قبلية ، وغرقت في لجج وثنية جاهلية ، فنزل القرآن الكريم فأحياها بعد موتها ، وبث فيها من القيم والمبادئ والروابط الإيمانية ما وحد صفوفها ، وما أوصلها إلى ما وصلت إليه إلا الشريعة الواضحة السمحة ، كالمصباح في كوة داخل زجاجة تشبه الكوكب الدري في الصفاء والحسن ، التي علمتهم وأدبتهم ، ورققت قلوبهم ، وهذبت مشاعرهم ، وأشعرتهم العزة والكرامة وجعلتهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،وقد نبه الله تعالى إلى شرف القرآن الكريم ، وحثنا على معرفة عظيم فضله وقدره . فقال: **(لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ]** (الأنبياء الآية: [١٠)فيه ذكركم أي شرفكم وصيتكم[١] . وتأمل معي أسلوب القرآن الكريم ، ومنهجه في تحفيز العرب وتحريضهم للتدبر في أمر كتاب الله تعالى ، والإقبال على العمل بما في تضاعيفه من فنون المواعظ والتوجيهات والإرشادات ، فضلا عن الأحكام فقال (أفلا تعقلون)([٢])،وأنت ترى وتلمس أن الأمة الإسلامية ما زالت في تاريخ القديم والحديث ترقى معراج المجد بقدر عملها في كتاب الله تعالى ، وتنحط بإهماله والإعراض عنه .

---

[١]- تفسير الكشاف ص١٠٥ ج٣/.

[٢]- انظر ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٤/ ص٧٥.

فما أجدر المسلمين خاصة والبشرية عامة أن تعتصم بمبادئ الإسلام الرشيدة، وتسير في ضوئها حتى تصل إلى الكمال اللائق بها . ويا ويح أمتنا الإسلامية إن بقيت على ما هي عليه من قلة الإحساس تجاه كتاب ربها ، فان المسؤولية عن القيام بحقوقه وحمل رسالته إلى شعوب العالم مسؤولية عظيمة لها آثارها في الدنيا والآخرة.[1] هذا وقد حذرنا الله تعالى من عواقب الإعراض عن العمل بكتاب الله تعالى .(ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) السجدة ٢٢. وبشر الله تعالى المؤمنين العاملين بشرعه في قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) سورة النور ٥٥. وبذلك تبين لنا الغرض المبارك الذي حققه مثل النور، فالكمال لله وحده وانه النور المبين جاء بالتشريع المبين، وهو نور في وضوحه وقوة حجته.

الخاتمـــة

ظهر لنا من خلال دراستنا الموجزة لهذا البحث بعض النتائج نلخصها في النقاط الآتية:

(١) ثبوت اسم النور اسما من أسماء الله تعالى ،وصفة من صفاته .

(٢) دلالة قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) على معان سامية ، وأسرار عظيمة ، فهو سبحانه موجد كل ما يعبر عنه بالنور ، وخاصة أسباب المعرفة الحقة ، والحجة القائمة ، وهداية البشر إلى الخير والصلاح ، وغير ذلك من المعاني الراقية .

(٣) ان المثل القراني فاق مستوى البشر من حيث فصاحة ألفاظه ،وقوة نظمه ،وحسن أسلوبه ،وشمول خصائصه ، وتضمنه صورا من البيان كالاستعارة والكناية والتشبيه وغيرها من الفنون البلاغية التي ساقها الله تعالى في كتابه الكريم خصبة وفيرة يزجيها بعيدة غاية البعد عن جمود التكليف ، كما أنها جاءت سلسبيلا تروي الغليل وتلامس شغاف القلوب ، وتمتزج بعواطف النفوس وأحاسيسها

---

[1]- حسن ضياء العتر ،المعجزة الخالدة ص ٣٨٩ فصاعدا الطبعة الثانية ١٤٠٩ /١٩٨٩م .

ووجداناتها فتفجر ينابيع الخير وتسدد اندفاعها ، لتحقيق أغراض المثل في القران الكريم ، وأهدافه المتعددة التي ترجع في جملتها إلى غرض واحد هوهداية الإنسان إلى الدين مصدر القيم ،وينبوع الفضائل .

(٣) إن مثل آية النور له من الأهمية الخاصة. حيث البراعة في التصوير ،والقدرة في التشخيص ،وقوة الحركة ، ونقل الصورة من الفكر المجرد إلى الحس المشاهد المتحرك ،وهذا أدعى إلى إيقاظ همم المخاطب ،وبعث كوامن نفسه ، واستنهاض أحاسيسه ومشاعره للإقبال نحو غرض التمثيل وغاياته ألا وهو الارتقاء في بناء النفس الإنسانية ،وتربيتها على الفضائل الحميدة ضمن منظومة القيم والمبادئ والمثل العليا.

(٤) تجسيد المثل القرآني في آية النور ، نور التشريع الإلهي في كل جانب من جوانب حياة المسلم الفردية والجماعية كما رسمتها سورة النور، وتناسقه البديع في هذا السياق

المصادر والمراجع

١. القران الكريم

٢. الإتقان في علوم القران، للإمام جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ ، تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٣.اجتماع الجيوش الإسلامية لغزو الجهمية والمُعطلة للإمام ابن القيم الجوزية ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، (د.ت).

٤.إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم، للإمام أبي السعود محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٥.أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزيّة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٨هـ.

٦.الأمثال العربية ،للدكتور عبد المجيد قطامش ، دراسة تحليلية ، مكتبة دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧.الأمثال ونماذج بشرية من القران الكريم، للشيخ أحمد بن طاحون ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ،الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ.

٨.أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٩.البحر المحيط / للإمام محمد بن يوسف الغرناطي ، ت٧٥٤ ط: دار الفكر ، ط :بيروت ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٨م.

١٠.البرهان في علوم القران ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، سوريا، الطبعة الأولى ، ١٣٧٦هـ

١١.تاج العروس من جواهر القامو ں ، للسيد محمد مرتضى الزبيدي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦هـ . وانظر طبعة دار الهداية .

١٢.التحرير والتنوير، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور،(١٢٨٤هـ)، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ .

١٣.تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، راجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت .

١٤.تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الجيل، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١١/١٩٩٠

١٥.التفسير القيم، للإمام ابن القيم، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

١٦.التفسير الكبير، للعلامة محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠.
١٧.تفسير سور النور، تأليف الدكتور محمد علي الحسن والدكتور عبد الرحيم أبو علبة ، الناشر دار الأرقم ،عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
١٨.تفسير سورة النور ، للأستاذ أبي الأعلى المودودي ، تعريب محمد عاصم الحداد، طبعة مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
١٩.تفسير سورة النور، للدكتور إسماعيل إبراهيم علي السامرائي ،طبعة دار عمار للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م
٢٠.تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، للشيخ إسماعيل حقي البر وسوي (ت ١١٣٧هـ)، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، طبعة دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
٢١.تهذيب اللغة، لمحمد بن احمد الأزهري، تحقيق: علي حسن هلالي ، الدار المصرية. وهناك نسخة محققة من الأستاذ /إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.
٢٢.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ هـ.
٢٣.جامع البيان عن تأويل آي القران ، للإمام محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ط:دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، وانظر طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨م.
٢٤.الجامع لأحكام القران، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .
٢٥.الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ،دار الفكر ، الطبعة الأولى ،بيروت، ١٩٨٣م .
٢٦.دقائق التفسير ، لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد السيد الجنيد ، مؤسسة علوم القران ، بيروت ، الطبعة الثانية : ١٤٠٤هـ.
٢٧.روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، للعلامة شهاب الدين السيد محمود شكري الالوسي (ت ١٢٧٠هـ) ،طبعة دار الفكر ، بيروت ، (د.ت).
٢٨.سنن ابن ماجة لابن يزيد القزويني ت٢٧٥هـ ، طبعة دار الجيل، بيروت، (د.ت) .

٢٩.سنن أبي داود، للإمام ابن إسحاق الأزهري السجستاني، الطبعة الثانية ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م .

٣٠.سنن الترمذي ،للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى ين سورة الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣١.سنن الدارقطني، لشيخ الإسلام الإمام علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: أبي الطيب محمد شمس الحق أبادي ، طبعة عالم الكتب ، بيروت .

٣٢.سنن الدرامي ، دار الكتاب العربي، تحقيق: احمد زمرلى وخالد السبع العلمي ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ.

٣٣.السيرة النبوية، لابن هشام ، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ..

٣٥.شرح النووي على صحيح مسلم: للإمام يحي بن شرف النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها، (د.ت).

٣٦.شعب الإيمان للبيهقي ، تأليف أبي بكر احمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

٣٧.صحيح ابن حبان ، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية .

٣٨.صحيح البخاري المسمى (الجامع الصحيح)، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ). طبعة مصطفى ألبابي الحلبي بمصر، ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م .

٣٩.صحيح مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، . طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت).

٤٠.صفوة البيان لمعاني القران، للأستاذ الشيخ مخلوف مفتي الديار المصرية ، الطبعة الثالثة .

٤١.العقيدة في الله، للشيخ عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح ،الكويت، الطبعة الخامسة،١٩٨٩ .

٤٢.فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام احمد.بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤادعبد الباقي، طبعة دار المعرفة ، بيروت -١٣٧٩هـ.

٤٣.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للعلامة، الشوكاني اليماني (ت)١٢٥٠ ، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٤٤.القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيرروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، طبعة مؤسسو الحلبي وشركاه ، القاهرة، (د.ت).

٤٥.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة ، الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة للنشر والطباعة ، بيروت، (د.ت)

٤٦.لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، وكذلك دار بيروت، بيروت ، ١٣٧٥م وانظر طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٤٧.مجموع الفتاوي ، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، ١٤٠٤هـ .

٤٨.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للعلامة ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) تحقيق عبد الله الأنصاري وزميله ، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة.

٤٩.مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن احمد النسفي ، تحقيق: مروان الشعار، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٦/.١٩٩٦

٥٠.المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ط ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

٥١.المسند للإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، مصر، (د.ت) .

٥٢.مشكاة الأنوار، لأبي حامد الغزالي ت: أبو العلاء عفيفي ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة الطبعة الأولى ، ١٣٨٣هـ .

٥٣.معالم التنزيل، للإمام ابن مسعود الفراء البغوي ت٥١٦هـ ، تحقيق خالد العك ومروان سوار ، دار المعرفة ،بيروت ، الطبعة الثالثة،١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٥٤.المعجزة الخالدة، للدكتور حسن ضياء، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م .

٥٥.المعجم الكبير للعلامة ، سليمان بن احمد بن أيوب أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٠٤هـ/. ١٩٨٣م

٥٦.معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مركز النشر، مكتب النشر الإعلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٥٧.المفردات في غريب القران للراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى .

٥٨.مناهل العرفان في علوم القران ، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب ، عيسى الحلبي وشركاه ، ١٣٧٢هـ.

وبالله التوفيق،،،